

## من أعلام الفكر الديني المسيحي: القديس أوبتا الميلي

One of the most prominent figures in Christian religious thought: Saint  
Optatus of Milevis

عيوج زاهية

جامعة بجاية (الجزائر)، zahia.ayoudj@univ-bejaia.dz

تاريخ النشر: 2025/06/03

تاريخ القبول: 2025/05/26

تاريخ الاستلام: 2024/05/21

## ملخص:

يهدف هذا البحث إلى محاولة إبراز مشاركة ومساهمة أسلافنا في بناء الفكر البشري من خلال التعريف بشخصية القديس "أوبتا الميلي" وكذا نفوذ الغبار على مرحلة تاريخية هامة من تاريخ شمال إفريقيا وبالخصوص نوميديا ، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التاريخي التحليلي، وبالاستعانة بنصوص مؤلف القديس أوبتا الميلي مع التطرق إلى مصادر ومراجع آخر متخصصة لمناقشة جذور الانشقاق الكنسي الدوناتي والاطلاع على مواقف القديس أوبتا الميلي فيما يتعلق بنفي مسؤولية الدولة في اضطهاد الدوناتيين بعد مرسوم "الوحدة" ، عن وحدة وعالمية الكنيسة الكاثوليكية وأيضاً المعمودية واستنتاجنا في الأخير أن القديس أوبتا يعتبر من أشهر أعلام الفكر الديني المسيحي ترك أثر كبير في مفكرين كثيرين أهمهم القديس أمبرواز والقديس أوغسطين .

كلمات مفتاحية: أوبتا الميلي؛ الفكر الديني المسيحي؛ الكنيسة الإفريقية.

## Abstract:

This research aims to an attempt to highlight the contribution of our ancestors in the construction of human thought by introducing the figure of Saint Optatus of Milevis , dusting off an important historical stage in the history of North Africa in particular Numidia and by using two method the descriptive historical and the analytical historical method. By applying the texts of the author of the book of Saint Optatus with reference to other specialised sources and references. To discuss the roots of the Donatist ecclesiastical schism, the positions of Saint Optatus regarding the denial of state responsibility for the persecution of the Donatists after the "Unity" decree, the unity and universality of the Catholic Church and baptism. Finally concluded that Saint Optatus considered one of the most famous figures of Christian religious thought and left a great impact on many thinkers, most importantly Saint Ambrose and Saint Augustine.

**Keywords:** Opatatus of Milevis; Christian religious thought; African church.

## مقدمة:

تزخر الجزائر القديمة بشخصيات دينية ثقافية ساهمت في تطوير الفكر المحلي والعالمي، ومن أهم هذه الشخصيات أوبتا الميلي OPTAT de Milev يسمى أحيانا بـ "أبتاتوس الإفريقي OPTAT Afer"، ولد بمدينة ميلاف (Milev) (ميلة حاليا) (Mila) وكان أسقف بها في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي. كان أوبتا الميلي متضلعا في الأدب المسيحي اللاتيني وطرفا فاعلا في مواجهة الانشقاق الكنسي الدوناتي، وأهم رواد الفكر اللاهوتي ويعد كذلك من بين ثلاثة وثلاثين الذين يحسبون على الكنيسة الغربية المسيحية ويحتفل الكاثوليكيون في أربعة (4) جوان من التقويم الكنسي الروماني بعيد وفاته تكريما وتبجيلا له.

غير أن هذه الشخصية لم تستوف حقها في البحث والدراسة مقارنة برجال دين الأفارقة أمثال ترتليانوس (TERTULLIEN)، كبريانوس (Saint CYPRIEN) أو القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN)، وهذا ما أثار السؤال حول ما مكانة القديس أوبتا الميلي في الساحة الأدبية المسيحية اللاتينية وبين أصحاب الفكر اللاهوتي؟ ما هي أهم أعماله؟ وكيف استطاع إرساء الأسس الأولى في مجادلة الدوناتين؟

إن الدراسات حول القديس أوبتا الميلي نادرة خاصة وأنه غالبا ما يتم تناوله ضمن السياق العام للصراع الدوناتي الكاثوليكي، الذي ميز تاريخ شمال إفريقيا خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ومن ناحية آخر المعلومات المتوفرة لدينا قليلة كان من الممكن أن يكون كاتباً مجهولاً لولا أنه لم يذكر في أعمال القديس جيروم (Saint JEROME)، القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) والقديس فولجينتيوس روسي (FULGENCE de Ruspe) لذا فالموضوع بحاجة ماسة إلى البحث والدراسة.

يهدف هذا المقال إلى إبراز مشاركة ومساهمة أسلافنا في بناء الفكر البشري من خلال التعريف بشخصية القديس "أوبتا الميلي" وإظهار مكانته وإسهاماته العلمية، مواقفه، آراءه ومراسلاته، وكذا نفوذ الغبار على مرحلة تاريخية هامة من تاريخ شمال إفريقيا عامة ونوميديا (Numidia) خاصة.

## 1..حياة أوبتا الميلي:

لا نملك معطيات كثيرة عن حياة أوبتا الميلي، فبعض الكتابات التاريخية تذكر أنه ولد في حوالي 320م، بمدينة ميلاف (Milev) (ميلة حاليا) (Mila) التي كان بها أسقف في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي، من أب عسكري (Monceaux, 1920, pp. 241-246)، تلقى تعليما أدبيا يركز على الفلسفة والخطابة شأنه في ذلك شأن جميع مدارس الإمبراطورية الرومانية، استكمل تعليمه بالاطلاع على كتابات المفكرين المسيحيين الأفارقة أمثال ترتليانوس (TERTULLIEN) وكبريانوس (Saint CYPRIEN) الذين يذكرونهم في كتابه. (Optat, 1995, pp. I, 9)

نجهل تاريخ وفاة أوبتا الميلي، ما نعرفه أنه كان على قيد الحياة إلى غاية سنة 384م وهذا كل ما نعرفه عنه (Butler, 1836, p. 178).

أقدم الشهادات عن أسقف مدينة ميلاف (Milev) تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، تحدث عنه القديس جيروم (Saint JEROME) في عام 392م وقال أنه كتب مؤلفه ضد الدوناتيين (Donatiste) في عهد الإمبراطور الروماني فالنتينيان (VALENTINIEN) وفالنز (VALENS) (Labrousse, 1982, p. 826)، وفي حوالي 397م يذكره القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) إلى جانب الرجال الذين توفوا منذ سنوات ويضعه في مصاف الرجال العظماء من بين أولئك الذين تحولوا من الوثنية إلى الديانة المسيحية واشتهروا بدفاعهم عنها وهم القديس كبريانوس (Saint CYPRIEN) ولاكتانتيوس (LACTANCE) والقديس هيلاريانوس (Saint HILAIRE) والقديس فيكتور (Saint VICTORIN)، ويدعوه بـ"صاحب الذاكرة الموقرة" (Augustin, 1866, pp. II, 60).

يكرمه القديس فولجينتيوس روسبي (FULGENCE de Ruspe) في نهاية القرن الخامس وأوائل السادس الميلادي بلقب "القديس" ويضعه في نفس المرتبة مع القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) والقديس أمبرواز (AMBROISE) ويصبح بذلك القديس أوبتا الميلي (Optat, 1995, pp. 9-10). وقد طلب الدوناتيون قراءة مقطع من مؤلف أوبتا الميلي في مناظرة قرطاجة (Carthage) في عام 411م. وفي عام 1122م يذكره الإمبراطور الروماني هونوريوس (HONORIUS) أنه وإلى غاية تلك الفترة كانت ذكره لا تزال باقية مبدلة. (Lancel, 1972, p. 9).

لا بد من إضافة إلى أن جميع الشهادات، بالرغم من قلتها، تقدم أوبتا الميلي على أساس أنه أسقف مبجل ومن المدافعين عن الديانة المسيحية وهو من بين ثلاثة وثلاثين الذين يحسبون على الكنيسة الغربية المسيحية ويحتفل الكاثوليكيون في 4 جوان من التقويم الكنسي الروماني بعيد وفاته تكريما وتبجيل له.

## 2.. أعماله ومكانته بين المفكرين المسيحيين اللاتينيين:

ألف أوبتا الميلي مؤلفا عارض فيه آراء واتهامات بارمينيانوس (PARMENIANUS) ثالث الأساقفة الدوناتية للأبرشية مدينة قرطاجة (Carthage) (توفي سنة 322م) و ضد الانشقاق الكنسي الدوناتى، سماه «كتاب الرد على بارمينيانوس الدوناتى Contra Parmenianum , De Schismate Donatistam » وأقدم ترجمة لهذا المؤلف كانت بعنوان "كتب أوبتا" (Optati Libri).

يعتبره المؤرخون المحدثون رائد الجدل الكاثوليكي (Catholiques)، دافع عن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية الرسمية ضد الانشقاق الكنسي الدوناتى، سبق القديس أوغسطين في مجادلة ومواجهة الدوناتيين (Monceaux, 1920, p. 144)، فقد ظل القديس أوغسطين مكملًا في ذلك عمل أوبتا الميلي ومضيفا إليه (المبكر، 1985، ص. 31). كما ترك أسقف (Évêque) مدينة ميلاف (Milev) أثرا مميز في التاريخ الأدب اللاتيني خلال القرن الرابع، استمر إلى ما بعده حيث يعد أقدم وأول كاتب ممثل للأدب اللادوناتى (Anti donatiste) ومصدرا هاما للتأريخ لهذه الفترة لكونه شاهد وعاصر الانقسام الكنيسة المسيحية (Baynes, 1924, pp. 37-44).

لم يتفق المؤرخون على تاريخ تأليف أوبتا الميلي لمؤلفه، فالدليل الوحيد والمؤكد في هذا الشأن يعود إلى القديس جيروم (Saint JEROME) الذي ذكر أن أوبتا ألف مؤلفه في ستة أجزاء في عهد الإمبراطور فالنتينيان (VALENTINIEN) الأول وفالتر (VALENS) كما ذكرنا سابقا، أي في نهاية عام 366م وبداية عام 367 م، ومن الملاحظ أن القديس أوبتا وضع خطة عمل في الكتاب الأول واكتملت في ستة أجزاء، وأن الكتاب السابع كان ملحقا لطبعة جديدة أضاف فيها القديس أوبتا إضافات، وتم تحديد تاريخ الطبعة الثانية في 385-390م أي بعد ستين عاما منذ اضطهاد دقلديانوس (Dioclétien) للمسيحيين وأضاف أسماء أساقفة دناوتين إلى جانب قائمة الباباوات التي ذكرها في الأجزاء الستة. (Monceaux, 1913, pp. 450-453).

ولكن بالعودة إلى طبيعة الكتاب الذي يذكر أوبتا بنفسه أنه رسالة رد على مؤلف الذي كتبه بارمينيانوس (PARMENIANUS) الدوناتى والذي عارض فيه اتهامات ومزاعمه ضد الكاثوليك (Optat, 1995, pp. 1, 4)، وعلى الأرجح أنه يعود تاريخ تأليفه بعد فترة من حكم الإمبراطور جوليان (JULIEN) فيما بين 360-362م (Optat, 1995, pp. 1,7).

حسب نصوص الواردة في كتاب أوبتا الميلي، يبدو أن اهتمامه انقسم بين الجانب التاريخي والجانب الفكري اللاهوتي، فأما بالنسبة إلى الجانب التاريخي نلاحظ أن أسقف مدينة ميلاف (Milev) اعتمد إلى حد كبير التسلسل التاريخي. ففي البداية، تحدث عن أصول الانشقاق الكنسي الدوناتى بعد فترة من اضطهادات عام 303م وتعرض للأسباب والنتائج. أما الوقائع والأحداث التي عاصرها في عهد الإمبراطور جوليان (JULIEN) فتطرق إليها في كتابه الثاني، أما الأحداث الدموية التي جرت بعد رفض "قرار الوحدة" عام 347م، فلا يذكر إلا في موضع الأخير من مؤلفه (الكتاب الثالث).

علاوة على ذلك، التزم أوبتا الميلي الترتيب والتدرج والدقة في تناوله للمسائل العقائدية لاهوتية التي كانت محل نقاش وخلاف بين الكنيسة الدوناتية والكاثوليكية، فبعد أن أوضح ماهية الكنيسة الكاثوليكية الواحدة الوحيدة الجامعة (Una ecclésia, Unisus ecclésia) انتقل إلى التعرض للقضايا المعقدة والشائكة وهي قضية التعميد (Baptême) (الكتاب الخامس)، وقد سعى أوبتا إلى إثبات الوقائع، وتدعيمها وتحليل الأحداث التاريخية قبل مناقشة القضايا اللاهوتية على عكس الخطة التي اعتمدها خصمه بارمينيانوس (PARMENIANUS) والمذكورة في كتاب أوبتا الميلي.

هكذا نجد أن أوبتا سعى لإثبات شرعية الانشقاق الدوناتى ثم انطلق إلى تحديد معاني الكنسية الكاثوليكية وبعد أن قام بتبرئة المسيحيين من اتهامات المنشقين الدوناتيين بالتواطؤ في مسألة تدخل الجيش الإمبراطور (الكتاب الثالث)، تمكن بعد ذلك من إدانة المتخاذلين (Traiditio) الحقيقيين (الكتاب الرابع)، وعندئذ فقط تمكن من بلورة النظام اللاهوتي الخاص به المتعلق بالمعمودية (الكتاب الخامس) الذي سيمثل ذروة مؤلفه.

فتناوب المواضيع التي تناولها أوبتا، تاريخية ولاهوتية، يبين أن عند أوبتا الميلي التاريخ، الوقائع والأحداث، ما هي إلا دعم لتحليل الانشقاق الكنسي الدوناتي من وجهة نظر لاهوتية، ولكن مونصو (MONCEAUX) (1920) اهتم بتقديم أوبتا الميلي على أساس أنه أولا مؤرخ، مجادل، وكاتب، ويقول في هذا الشأن: "يميل نوع ما إلى التكهنات والتخمينات، لا يكاد يتحدث عن اللاهوت" (Monceaux, 1920, p. 146)، وهنا في اعتقادي هو إقصاء للدور الأساسي الذي لعبه القديس أوبتا الميلي في إعداد وبلورة الفكر اللاهوتي الكنسي الكاثوليكي.

غير أن كونغار (CONGAR) (1963) أورد "أن المنافحين الكاثوليكين خلال القرن الرابع الميلادي، أوبتا الميلي والقديس أغسطين، أنهم لا يتحدثون عن الدوناتية إلا من زاوية ومن نظرتهم الدينية اللاهوتية" (p. 25).

أما قداش (KADDACHE) (1993) يشير إلى أن أوبتا الميلي كان مؤرخا مشهورا ومجادلا كذلك والتاريخ بالنسبة له كان سلاحا ضد الكنسية المنشقة، مجدلا أثبت براعته في اتقاء الضربات ضالا على الإخلاص والدقة دائما. فكان المجادل والمدون للوقائع والكاتب الموهوب مشهورا في زمنه (ص.ص. 110-111).

### 3.. بعض مواقف وأثار القديس أوبتا الميلي:

#### 1.3.. عن تاريخ أصول الانشقاق الكنسي الدوناتي و"ملف الدوناتية":

تتفق جل الكتابات التاريخية على قول إن المسيحيين الكاثوليك سكتوا طيلة نصف قرن (313-366م) عن هجمات خصومهم من المجادلين الدوناتيين الذين كتبوا كثيرا للدفاع عن قضيتهم، واتخذت أعمالهم أشكال مختلفة من الخطابات، المرافعات، المواعظ، الرسائل جدلية موجهة إلى أساقفة الكنسية الكاثوليكية وكذا مقالات نقدية ومؤلفات تتناول مسائل عقائدية كانت محل خلاف بين الكاثوليكين والدوناتيين، ولقد كان الرد وصفته المصادر متأخرا من عند أوبتا الميلي، الذي شهد صراع الكنيسة الإفريقية واهتم اهتماما كبيرا بوحدتها، لذلك ناضل ضد الانشقاق الكنسي الدوناتي (جوليان ، 1985، ص.ص. 289-290) وأصبح بذلك لسان حال السلطة التي تبنت المسيحية بشكل رسمي وإحاطتها بالرعاية الخاصة بالمقارنة مع الكنيسة الدوناتية التي عانت من اضطهادها وقد أكمل رسالة الآباء الأوائل في دفاعهم عن وحدة الكنيسة.

عموما ساهمت كتابات القديس أوبتا الميلي في تدوين التاريخ الكنسي لشمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة حيث يعتبر مؤلفه أهم مصدر خلال القرن الرابع الميلادي لأنه عاصر وشاهد الصراع الدوناتي الكاثوليكي وكان في واجهة هذا الصراع وطرفا فاعل فيه، يعد أوبتا الأول من استخدام لفظ "الهرطقة" (Hérésie) إلى جانب لفظ "الانشقاق" (Schisme) للإشارة إلى الدوناتية، ويحمل أسقف مدينة ميلاف (Milev) مسؤولية الوحيدة في هذا للدوناتيين باعتبار أن جل المجامع الدينية برأت كل الأساقفة المتهمين بالخيانة (Optat, 1995, pp. I, 8-12).

ولإعادة بناء تاريخ أصول الانشقاق الكنسي الدوناتي، يحاول الرجوع في عدة مرات إلى نصوص الكتاب المقدس والاستعانة بالحجج اللاهوتية بهدف إقناع خصومه الدوناتيين، كما استعان أوبتا الميلي بالحجج والبراهين من خلال تلك الوثائق الرسمية والكنسية التي يحاول مرار إحالة القارئ في الجزء الأول من كتابه إلى الملحق الذي ألحقه بنهاية مؤلفه. وهذه لائحة الوثائق كانت محل جدال في العصر الحديث فيما عرف بـ «ملف الدوناتية» تتراوح تاريخها ما بين 314-330م وجمعها الكاثوليك حسب ما يرى دوشين (Duchesne) باعتبار أنها تقدم وجهة نظر واحدة أو إن لم يكن أوبتا الميلي قد اختارها.

لم يكن أوبتا من الذين يذمون خصومهم، على الرغم من وصفهم بالخونة، هراطقة، منشقين إلا أنه يطلق عليهم اسم "الإخوان" "أخوان الكاثوليك" "انشقاق الإخوان" وينادي إلى الأخوة والسلام (Optat, 1995, pp. I, 1, 3)، وفي كتابه السابع والأخير يدعو إلى المصالحة والتوفيق والوحدة بين الطرفين (Optat, 1996, pp. VII, 1-7).

ومهما يكن، فقد أجهد القديس أوبتا الميلي نفسه لإعادة بناء تاريخ الانشقاق الكنسي الدوناتي، لذلك يعتبر كما أسلفنا الذكر مصدرا لا غنى عنه في التأريخ لجذور الحركة الدوناتية وفي وقت لاحق حركة "الدورائين" (Circoncillions) وهي كما موضحة في الجدول التالي:

#### جدول 1

كرونولوجيا أصول الانشقاق الكنسي الدوناتي من خلال مؤلف أوبتا الميلي

| التاريخ عند أوبتا الميلي | الأحداث                                                                                            | المصدر        |
|--------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|
| قبل الاضطهادات           | • ولاء أساقفة النوميديين إلى مساندة ادعاءات المشبوهة "لوكيله" (لوسيل LUCILLA) في قرطاجة (Carthage) | (Optat, 1995, |

|                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |                                                                                                 |
|----------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------|
| pp. I,16)                  |                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,13-14) | <ul style="list-style-type: none"> <li>• صدور محاضر رسمية بيان تفتيش واستنطاق، وتسليم الكتب المقدسة في كنسية سيرتا (Cirta).</li> <li>• صدور بيان "ميثاق شهداء أبتينا" (Martyrs d'Abitina)</li> </ul>                                                                                            | " بعد أكثر من ستين سنة، بداية الاضطهادات في إفريقيا" المتخاذلين (Traditeurs) والشهداء (Martyrs) |
| (Optat, 1995, pp. I,17-18) | <ul style="list-style-type: none"> <li>• اتهام الأسقف "فيليكس أبثوغني" (FELIX) بالخيانة والتخاذل</li> <li>• موت منصور يوس (MENSURIUS) أسقف كنسية قرطاجة (Carthage)</li> <li>• صدور مرسوم التسامح الديني للإمبراطور الروماني ماكسيموس (MAXENCE)</li> </ul>                                       | أثناء الاضطهادات                                                                                |
| (Optat, 1995, pp. I,14)    | <ul style="list-style-type: none"> <li>• انعقاد مجمع سيرتا (Cirta) (لم يحدد أوبتا فترة انعقاده)</li> </ul>                                                                                                                                                                                      | بعد الاضطهادات                                                                                  |
| (Optat, 1995, pp. I, 18)   | <ul style="list-style-type: none"> <li>• انتخاب كيكيليانوس (CAECILIANUS) على رأس كنسية قرطاجة خلف لمنصور يوس (MENSURIUS)</li> </ul>                                                                                                                                                             |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,19)    | <ul style="list-style-type: none"> <li>• مجمع قرطاجة (Carthage)، تصويت على ترشيح ماجورينوس (MAJORINUS) أسقفا لقرطاجة عوضا عن كيكيليانوس (CAECILIANUS)، بداية الانشقاق وتكريسه</li> </ul>                                                                                                        |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,22)    | <ul style="list-style-type: none"> <li>• رسالة الأساقفة الدوناتيين إلى الإمبراطور قسطنطين (CONSTANTIN) والتي يطلبون فيها تعيين القضاة من بلاد الغال للدفاع عن قضيتهم.</li> </ul>                                                                                                                |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,23-24) | <ul style="list-style-type: none"> <li>• مجمع روما (Roma)، بحضور ثلاثة أساقفة مبعوثين من بلاد الغال (Gaule)، أربعة من روما من قبل الإمبراطور قسطنطين (CONSTANTIN) لمدة ستة أيام من شهر أكتوبر.</li> </ul>                                                                                       |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,25)    | <ul style="list-style-type: none"> <li>• نداء دونا توس (DONATUS) في قرطاجة إلى الإمبراطور الروماني قسطنطين (CONSTANTIN).</li> </ul>                                                                                                                                                             |                                                                                                 |
| (Optat, 1995, pp. I,26)    | <ul style="list-style-type: none"> <li>• ما حدث في إفريقيا بعد مجمع روما، رحلة كيكيليانوس (CAECILIANUS) وإقامته في (Brscia).</li> <li>• تحريات أونوميوس (EUNOMIUS) وأوليميوس (OLYMIUS) في قرطاجة (Carthage)</li> <li>• صدور المرسوم النهائي القاضي بأن "الكنسية الكاثوليكية هي كنسية</li> </ul> |                                                                                                 |

|                         |                                                                                                                                                                                                                                                        |  |
|-------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--|
|                         | الوحدة"                                                                                                                                                                                                                                                |  |
|                         | <ul style="list-style-type: none"> <li>• وفاة ماجورينوس (MAJORINUS) وخلفه دوناتوس بعد عودته إلى قرطاجة وأسس الكنيسة الكاثوليكية التي حملت اسمه وعرفت باسم "حزب دوناتوس" وكيكيليانوس (CAECILIANUS) إلى قرطاجة وتبرأته من التهم الموجهة إليه.</li> </ul> |  |
| (Optat, 1995, pp. I,27) | <ul style="list-style-type: none"> <li>• تحريات عن حياة أسقف فليكس أبثوغي (FILX d'Abthgri)</li> </ul>                                                                                                                                                  |  |

ملاحظة: ومن الملاحظ أن أسقف مدينة ميلاف (Milev) فيما يخص الفترة ما بين 303-313م يعتبرها أوبتا سوى فترة طويلة من الاضطهادات، استطاع أن يميز ثلاث فترات رئيسية حددها ب "قبل، أثناء وبعد الاضطهادات". أما فترة 313-316م، يجهل أوبتا "المجمع أرل (Arles)" الذي دعا إليه الإمبراطور الروماني قسطنطين (CONSTANTIN)، وانعقد في روما في عام 316م ولكن كان على اطلاع على القرار النهائي الذي تمخض عنه وهو اعتراف بشرعية كيكيليانوس (CAECILIANUS) أسقفا على مدينة قرطاجة.

### 2.3 .. نفي مسؤولية الدولة في اضطهاد الدوناتيين بعد مرسوم "الوحدة":

نشير إلى أن القديس أوبتا الميلي استعرض في الكتاب الثالث الأحداث التي وقعت في شمال إفريقيا في منتصف القرن الرابع الميلادي، بعد إصدار الإمبراطور الروماني قسطنطين (CONSTANTIN) "قرار الوحدة" بين الكنيستين وتم إرسال مبعوثين "بناة الوحدة" هما باولوس (PAULUS) وماكاريوس (MACAIUS) في ربيع عام 347م لتطبيقه حيث يخبرنا أن نواياهم كانت سلمية وأشار إلى مهمة هذين المبعوثين بقوله: "لعد الفقراء وتوزيع عليهم الهبات والصدقات وكذلك حثهم على الوحدة، غير أن المبعوثين لاقيا مقاومة شديدة في مقاطعة نوميديا (Numidia) خاصة في مدينة باغاي (Bagai) حيث انضمت فرق الدوران إلى أسقفها دوناتوس (DONATUS)، وقد تدخل الجيش لحماية المبعوثين وأسأل كثيرا من الدماء وسقط عدد من الدوناتيين اعتبرتهم كنيستهم "كنيسة الشهداء"، وحفظت ذكراهم في "كتب آلمهم Passiones" (Optat, 1995, pp. III, 2-4).

يكتسي هذا النص أهمية كبيرة في معرفة الأوضاع العامة للكنيسة الإفريقية المنقسمة بين الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية الموالية للكنيسة الرسمية الرومانية، يعتبر أيضا أقدم إشارة إلى حركة الدوران (Circoncillions) ويعتمد عليه الكثير من المؤرخين في تفسير العلاقة بين الدوران والدوناتية هذا من جهة، ومن جهة أخرى اعتمد عليه أوبتا الميلي في دفاعه عن

الكنيسة الكاثوليكية حيث نفى طلب الكاثوليك تدخل الجيش واضطهاد الدوناتيين في أحداث سنة 347م، وكل حججه تنصب في إثبات أن الدوناتيين هم الوحيدين المسؤولين عن العنف الذي مورس ضدهم.

في السياق نفسه أشار القديس أوبتا الميلي أن الانشقاق الدوناتى أدى إلى انقسام الكنيسة الإفريقية وندد بمبادئهم الداعية إلى إعادة تعميد المرتدين وتشيدهم لكنائس خاصة بهم، ودعم أسقف مدينة ميلاف (Milev) أقواله باقتباس مقاطع من أسفار الكتاب المقدس (في سفر طوبيا Tobie، إشعيا Isaie والمزامير Psaumes). (Optat, 1995, pp. III, 1-4)

كما كان رفض دوناتوس (DONATUS) الصدقات والهبات المقدمة من مبعوثين الذين أرسلهم الإمبراطور قسطنطين (CONSTANTIN)، واستفازه لهم ويتضح في قوله "ما علاقة الإمبراطور بالكنيسة"، وفسر أوبتا ذلك أنه "تعبير عنيف عن جميع الدوناتيين الرفضين للخضوع للسلطة السياسية الإمبراطورية ورفضهم تدخلها في الشؤون الدينية" ثم يضيف أنه كان لدوناتوس (DONATUS) دور في إقامة عراقيل وإثارة المشاكل للوافدين على المدينة حيث بعث للمنادين إلى الأماكن القريبة وكل الأسواق ليستنفر الدواوين ويطلب منهم التجمع والاحتجاج في مكان عينه لهم، وعليه تقع مسؤولية تدخل الجيش، ومرة أخرى يشير ويؤكد أن تدخل الجيش كان في المناطق التي نظم فيها الدوناتيون التمرد بينما مقاطعة البروقنصلية (Proconsulaire) كانت بمنأى عن ذلك في حين كانت مدينة باغاي (Bagai) بمقاطعة نوميديا (Numidia) مسرحاً للعديد من أعمال العنف (Optat, 1995, pp. III, 3-4)

هذا وقد دعا القديس أوبتا الميلي إلى الخضوع إلى أوامر الإمبراطور في قوله: " في الواقع، ليست الدولة في الكنيسة، بل هي الكنيسة الموجودة في الدولة، بمعنى في الإمبراطورية الرومانية"، وينوه بجهود الإمبراطور الروماني قسطنطين (CONSTANTIN) في إقرار الوحدة، ليبين أنه عمل من أجل الحفاظ على السلام والوئام ويظهر احترامه للأساقفة الذين هم راضون عن تنفيذ قراراته، ويستحضر في هذا الصدد تلك الصدقات والهبات التي يخصصها الإمبراطور للكنيسة الإفريقية في كل مقاطعاتها (Optat, 1995, pp. III, 5, 10-14).

بمعنى أن القديس أوبتا الميلي يدعو إلى الخضوع للسلطة المدنية القائمة ويؤكد أن أولئك الذين يحدثون اضطرابات من شأنها تهديد بالنظام الكنسي سوف ينالون عقاباً، وأن الدولة لها

مسؤولية للقضاء على الانشقاقات في الكنيسة ولو بطريقة صارمة، بهذه الطريقة التي يبرر بها أوبتا الميلي القمع الإمبراطوري الذي لا يمكن تحميل الكاثوليك مسؤوليته ذلك. ويفهم من ذلك أيضا أن أسقف مدينة ميلاف (Milev) لم يعارض تدخل قوات الجيش لمساعدة مبعوثي الإمبراطور، باعتبارهم أنهم أتوا من أجل قضية عادلة، وهي الوحدة، وللدرد على مواقف الدوناتيين المنشقين التي تستحق الإدانة.

بهذا الموقف تتضح نظرية القديس أوبتا الميلي من خلال إقراره العقيدة القائمة بالعلاقة بين الكنيسة الرسمية والإمبراطورية الرومانية، ونظرية اللجوء إلى السلطة في ردع المنشقين عن الكنيسة والتي سوف يعتمد عليها لاحقا كل من القديس أمبرواز (AMBROISE) والقديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) لإحلال السلام والوئام، وأن عدم الوفاق مع السلطة فهؤلاء هم "أعداء الكنيسة" (Martroye, 1913, pp. 23-40).

### 3.3... عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية:

من المعروف أن اللاهوت الكنسي الدوناتي والكاثوليكي تأسسا على نفس المبدأ: توجد سوى كنيسة واحدة (Una Ecclesia) وقد تم التعريف لهذا المبدأ بوضوح في العصر الرسولي (Age Apostolique)، للدرد على ادعاءات بارمينيانوس (PARMENIANUS) الدوناتي القائلة بأن الكنيسة الدوناتية هي الكنيسة الحقة وهي "كنيسة القديسين والشهداء"، استعان القديس أوبتا الميلي ليبين أن الكنيسة التي ينتمي إليها هي الكنيسة الحقة الوحيدة التي أسسها المسيح، تارة بالحجج اللاهوتية التي اقتبسها في مقطع من الكتاب المقدس العهد القديم سفر "نشيد الأناشيد". (Optat, 1995, pp. I, 2, 10).

وتارة أخرى بالاستعانة بحجج في تاريخ آباء الكنيسة الإفريقية حيث نجد أنه مخلص لتقاليد الأوائل فقد طور هو بدوره على غرار القديس كبريانوس (Saint CYPRIEN) صورة المرأة حيث يذكر أن "الكنيسة عروس المسيح"، كما يشبهها بالأم (La Mater Ecclesia) التي تجمع أولادها في منزل (المنزل هو الكنيسة) كعائلة واحدة، ولكن الانشقاق أدى إلى قطع "جذور" هذه الروابط المتينة. (Optat, 1995, pp. I, 1-15; II, 2, 4).

ويمكن الوقوف على هذه الفكرة التي اقتبسها القديس أوبتا الميلي من تعاليم الكنيسة التي دافع عنها القديس كبريانوس (Saint CYPRIEN) في سلسلة من المنشورات أصبحت لاحقا كتاب "وحدة الكنيسة" "De Ecclesiae Unitate"، وفيه يذكر جميع المسيحيين أنه لا يمكن لأحد أن يتخذ الله أبا ما لم يتخذ الكنيسة أما، كما دعا كبريانوس (Saint CYPRIEN) المسيحيين للتمسك بالكنيسة "عروس المسيح" (المسيح، 2006، ص. 214).

كما يجب التذكير أن أوبتا الميلي عرض اللاهوت الكنسي للكنيسة العالمية، يوجد في إفريقيا كنيسة، لكن سوى واحدة هي عروس المسيح، في العديد من المدن، هناك أسقفان ولكن سوى واحد كان ممثلا شرعيا للكنيسة الواحدة "وحدة الكنيسة" والتي تستمد شرعيتها باتحادها مع كنيسة روما.

#### 4.3.. عالمية الكنيسة الكاثوليكية:

أشار القديس أوبتا الميلي أن هناك فرق أساسيا بين الكنيستين الإفريقيتين، إحداهما، الكنيسة الدونانية المحصورة في زاوية من أركان إفريقيا" (Optat, 1995, pp. II,1-3,12)، وأخرى الكنيسة الكاثوليكية التي تجمعها تضامن واتفاق مع كل كنائس العالم (Optat, 1996, pp. VII,5,1). وبهذا المنحى، يعد القديس أوبتا الميلي الأول الذي وضع الإطار الجغرافي للكنيسة المسيحية الدونانية، الذي لا يتعدى إفريقيا، في حين الكنيسة الكاثوليكية فهي كنيسة الوحدة والتي تنتشر في جميع أنحاء العالم.

ويتجلى من خلال نصوص القديس أوبتا الميلي أن كنيسة روما تكتسي مكانة هامة في اللاهوت الكنسي عند أسقف مدينة ميلاف (Milev)، حيث استخدم أوبتا الميلي الكلمة اللاتينية "communio" التي تتجلى في الاتفاق والتحالف الذي يجمع بين جميع أساقفة ممثلي الكنائس المحلية، كما يشير إلى أن "الرسائل المتبادلة"، لا تعتبر مجرد رسائل الأخوة متبادلة بين الأساقفة، بل هي أبعد من ذلك فهي تعد دليلا على شرعيتها ورمز للانتماء إلى الكنيسة العالمية خاصة أنه يعطي مكانة مهمة للقرارات التي تتخذها المجامع التي تمثل بالفعل الكنيسة العالمية، فيقول إن على

الدوناتيين الخضوع لقرارات مجمع روما الذي أعلن شرعية كالكيليانوس (CAEILIANUS) أسقفا لكنسية قرطاجة (Carthage) (Optat, 1995, pp. I,2; II,2-3).

فالكنيسة الوحيدة هي التي في اتفاق وتضامن مع الكنيسة الكاثوليكية لروما حيث اعتبرها أوبتا الميلي كمرجعية ورمز للوحدة، اتحاد مع روما يعني اتحادا مع المسيحيين كلهم، وبالاتحاد مع روما اعتراف بتضامنه مع العالم المسيحي ومن ثم هذه التعاليم الواردة عند أوبتا الميلي تتوافق في العديد من المسائل وتعاليم الكنيسة مع القديس كبريانوس (Saint CYPRIEN) خاصة في عالمية الكنيسة وتضامنها مع كنائس كل أنحاء العالم حيث يقوم بدوره أساس تضامن الأساقفة الذين يؤلفون مجلسا، والكنيسة تتألف من الأسقف والإكليروس (Le Clergé) وكل المؤمنين وهكذا تصبح الكنيسة عالمية في جسد واحد (Atitung, 2016, p. 52) وبذلك أرسى القديس أوبتا الميلي هو بدوره أسس اللاهوت الكنسي للكنيسة الإفريقية، باعتبار أنه دافع عن الكنيسة الكاثوليكية الموحدة والعالمية المتحدة مع روما ومع كنائس العالم المسيحي.

### 5.3.. عن المعمودية:

أما عن المعمودية التي تعتبر مسألة جوهرية وركن من أركان الدين المسيحي، عارض القديس أوبتا الميلي رأي بريمانويس (Parmenianus) في وجوب إعادة التعميد المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية وأوضح مهمة المعمد (Minister) هنا الرد على الدوناتيين الذين يتشددون بصدد شخص "المعمد" الذي ينبغي أن يكون طهورا منزها من كل الشوائب "قدسا" لذا كانوا يعتبرون كنيستهم "كنسية القديسين" (Santi)، وأوضح أوبتا أن العمل في المعمودية يتم بالثالوث وليس بواسطة المعمد "الوزير" وأن أي خادم سر مسيحي يمكنه إعطاء التعميد، وأن قداسته لا تؤثر في شيء على صحة التعميد، وبذلك فقد بلور أسس من اللاهوت الكنيسة الكاثوليكية (Optat, 1996, pp. V, 1, 6-8).

وهي من الأفكار التي ناقشها فيما بعد القديس أوغسطين في أواخر القرن الرابع وبداية الخامس ميلادي في كتابه " التعميد أو ضد الدوناتيين" (De Baptimo, Contra Donatistas) وهو كتاب في سبعة أجزاء يعارض فيه القديس أوغسطين دعوى الدوناتيين في قضية التعميد .

خاتمة:

يستخلص من هذه الدراسة ما يلي:

- القديس أوبتا الميلي كان من رواد الفكر المسيحي الكاثوليكي صاحب أفكار وآراء تركت أثرا في الكثير من المفكرين ومن أهمهم القديس أوغسطين. دافع عن الكنسية المسيحية الموالية للإمبراطورية الرومانية وهاجم الانشقاق الكنسي الدوناتي.
- يعتبر أول مجادل كاثوليكي في التاريخ. ويمكن القول إن مؤلف أوبتا الميلي يمثل المصدر الرئيسي لمعرفتنا للدوناتية وحركة الدوارين، وبدراسته انتشلنا هذه الشخصية المتضلعة في الأدب المسيحي اللاتيني من ثنانيا النسيان واستطعنا أن نبحت في بقايا أحداث الأعلام المدفونة في ذاكرة الزمان لرجل دافع عن الديانة المسيحية وأثرى الفكر الإنساني.
- يعتبر الأول من بلور العقيدة القائمة بالعلاقة بين الكنيسة الرسمية والإمبراطورية الرومانية، ونظرية اللجوء إلى السلطة في ردع المنشقين عن الكنيسة والتي سوف يعتمدها كل من القديس أمبرواز وأوغسطين لإحلال السلام والوئام، وأن عدم الوفاق مع السلطة فهؤلاء هم "أعداء الكنيسة".
- أسقف مدينة ميلاف، شأنه شأن الكتاب الأفارقة ترتليانوس وكبريانوس أرسى بدوره أسس اللاهوت الكنسي للكنيسة الإفريقية، باعتبار أنه دافع عن الكنيسة الكاثوليكية الموحدة والعالمية المتحدة مع روما ومع كنائس العالم المسيحي.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- المؤلفات / الكتب:
- 1. جوليان، شارل أندري (1985). تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر. مزالي، محمد والبشير، سلامة، ط 5، الدار التونسية للنشر، تونس؛
- 2. عبد المسيح، عادل فرج (2006). موسوعة آباء الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، ج 2؛
- 3. قداش، محفوظ (1993). الجزائر في العصور القديمة، تر. عباد، صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛
- 4. Atitung, Kalom Cyrille, (2016). L'Eglise accueille les pécheurs : Cyprien et le schisme donatiste, Baobab Kinshasa, R. D. Congo ;
- 5. Augustin, Saint, (1866). La doctrine Chrétienne, Œuvres Complètes de Saint Augustin, trad. Raulx, Paris, T IV
- 6. Butler, Alban, (1836). Vie des pères, des Martyres et des autres principaux saints, Trad. L'Abbe Godescard, T4, Découchant, Paris, T 4 ;

7. Lancel, Serge, (1972). Actes de la conférence de Carthage en 411, coll. Sources Chrétiennes N°194-195, Cerf, Paris, T 1 ;
8. Monceaux, Paul, (1920). Histoire de la Littéraire de l'Afrique Chrétienne depuis les Origines jusqu'à l'invasion Arabe : Saint Optât et les premiers écrivains Donatistes, Ernest Leroux, Paris, T 5 ;
9. Optat, de Milève, (1995). Traité contre les donatistes, Trad. Labrousse, Mireille, Coll. Sources chrétiennes N°412, Cerf, Paris, T1 (Livre I, II) ;
10. Optat, de Milève, (1996). Traité contre les donatistes, Trad. Mireille Labrousse, Coll. Sources chrétiennes - N° 413, Cerf, Paris, T II (Livres III, VII) ;

• الأبحاث في المجالات العلمية / المقالات:

11. المبكر، محمد، (1985). "القديس أغسطينوس وقضية العلاقات بين الدواوين والدونانية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، عدد خاص دراسات في تاريخ المغرب، ج2؛
12. Baynes , Norman H., (1924) « Optatus», in The Journal of Theological Studies , Oxford University Press, New York, October, Vol.26, N°101 ;
13. Congar, Y.M. J., (1936). « La théologie donatiste de l'Eglise et des sacrements, L'apport Saint augustin », Traités anti-donatistes, Bibliothèque Augustinienne, Paris, N°28 ;
14. Labrousse, Mireille, (1982), « Optat de Milève(Saint), évêque, 4e siècle », Dictionnaire de Spiritualité Ascétique et Mystique Chantilly, Beauchesne, Paris, vol. 11 ;
15. Martroye, F., (1913). « La répression du donatisme et la politique religieuse de Constantin et ses successeurs en Afrique », Mémoires de la société Nationale des Antiquaires de France, Paris, 73 ;
16. Monceaux, Paul, (1913). La date du traité de saint Optat contre les Donatistes. Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Paris, 57<sup>e</sup> année, N°6 ;